

شروط

التوبة من المعاصي



لفضيلة الشيخ
 الذي أحمد الله على ما كرس
 استاذة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



www.ferkous.com
edition@ferkous.com

مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَخَذُوهُ ﴿١٠﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ويقولوه تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعِثُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله ﴿وَإِنَّمَا أَعِيبُ اللَّهُ مَا كَانَتْ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ومن طرق إصلاحها وتزكيتها محاسبة النفس، فإن رأيت نقصاً في عبادتك جبرئيل بانهاض إن كانت مما تجبر وإلا استغفرت وندمت وأنبئت وعملت من الخير ما تراه مصلحاً لما أفسدت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَتَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. هكذا أهل التقوى والإصلاح يخافون ربهم من فوقهم ويحاسبون أنفسهم عن تقصيرها ويلومونها عن تقصيرها ويلزمونها التقوى، وينهونها عن الهوى وتجاربها مع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَيَرْجِي الثَّوَابَ﴾ [الأنعام: ٦٠]

والعلم عند الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى
الله على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين.

(٢) أوردته الإجازي في «الإسلام» (٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعلم في «الإيمان» (١٠٢)، وأبو داود في «السنة» (٤٦٦٧)، والترمذي في «الإيمان» (٢٨١٥)، والنسائي في «الإيمان وشراعه» (٥٠٠٧)، وابن ماجه في «المقدمة» (٦٦)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنا شاب ممن ابتلي بالفتنة كثيرا فأغواني الشيطان فوقع في فاحشة الزنى ولكن ندمت على فعلتي هذه وعدت إلى الله تائبا متبعا وأصبحت من المواظبين على الصلاة، سؤالني هو: هل تكون توبتي مقبولة؟ مع العلم أن الحدود انعدمت في وقتنا الحالي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين أما بعد،

فأعلم أن الله يتبيل التوبة عن عباده لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَيْفَ أَدْرَأُ الَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا رِجْلَيْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ الْعُذُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُوفُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٨٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ٨٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٠﴾ [النساء: ٩٠-٩٢]، ويخرج بها كما ورد في الحديث: «لله أشدُّ فرحًا

بتوبة أحدكم من أحدكم بضائتيه إذا وجدها» (١) وقوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٨٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ٨٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٠﴾ [النساء: ٩٠-٩٢]

الرجوع إلى الله والإجابة إليه، وذلك بالتخلي عن الذنوب والمعاصي، والندم على كل ذنب سالف، وعدم الإصرار على العودة إلى الذنب في مقبل العمر لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وعليك أن تعمل جاهدا في تركية نفسك وتطهيرها بأخذك بالآداب المزكية، وتجنبها بما يدسها من سيئ المعتقدات، وتدارك الأقوال والأفعال، فتدفعها إلى الطاعة وتفسد بها عن الشر والفساد، ويتم إصلاحها وتاديبها بالتوبة والصدق فيه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، كما تترجم نفسك بمراقبة الله تعالى في كل لحظات حياتك حتى تتيقن اطلاع المولى عز وجل عليك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

(١) أخرجه مسلم في «التوبة» (٦٢٩٩)، وأحمد (٤١١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن ماجه في «الزهد» (٤٢٤٠)، والبيهقي (١١٠٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٨١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥٤٧/١٣) «سند حسن»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٠٨).